

وَكذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ
عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا
جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِعَايَتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ
رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا
بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾
وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ

الفتنة والتوبة وعلم الله عز وجل

(006) سورة الأنعام

اللقاء السابع من تفسير سورة الأنعام | شرح الآيات 53 - 59

2023-01-21

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.
اللهم علّمنا ما ينفعنا، وأنفعنا بما علّمتنا، وزدنا علماً وعملاً يُتقَبَلُ يا رب العالمين، وبعد:

النجاح والرسوب في الفتن:

فهذا هو اللقاء السابع من لقاءات سورة الأنعام وتلكم هي الآية الثالثة والخمسون من السورة وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ لِّيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ عَالِمُونَ ﴿٥٣﴾

هذه الآية سُبقت بما تكلمنا عليه في اللقاء الماضي وهو قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ لَعَدُوًّا وَإِن يَبْرُدُوا وَجْهَهُمْ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ
فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

وفي رواية سبقت غضبي، مكتوب عنده فوق العرش: (إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي) فأصل تعامله مع عباده هو بالرحمة، وقال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتَنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً حَمِيمًا فَسَاءَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ كَبِيرًا (سورة الإسراء) (82)

(سورة الإسراء)

الرحمة هي الوقاية، والشفاء هو العلاج، فإن أصابك مكروه ففي القرآن شفاؤك وإن أردت ألا يصيبك مكروه فالقرآن رحمة لك، فالرحمة هي وقاية والشفاء هو علاج، فرينا-جلّ جلاله- كتب على نفسه الرحمة، ولو سألت سائل: ما معنى نفس الله؟ قلنا له ما قلناه سابقاً: نفس الإنسان جسد وذات وروح ودم مجموعها تشكل ما يسمى النفس، لكن الله تعالى ليس كمثله شيء، فكتب على نفسه الرحمة إما تعني أنه كتب على ذاته العليّة الرحمة، أو ثبت له ما أثبتته لنفسه-جلّ جلاله- من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكيف، من غير كيف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَاطِرًا لِّلسَّحَابِ وَهُوَ يَنزِلُ فِي السَّحَابِ وَهُوَ يَنزِلُ فِي السَّحَابِ وَهُوَ يَنزِلُ فِي السَّحَابِ وَهُوَ يَنزِلُ فِي السَّحَابِ (سورة الشورى) (11)

(سورة الشورى)

أصل العلاقة هي الرحمة:

(كَتَبَتْ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) واستخدم هنا ربكم ولم يقل كتب الله أو إلهكم وإنما استخدم مفهوم الربوبية؛ لأن التربية من الربوبية والرحمة ربوبية، فالأب عندما يرحم ابنه فهذا من التربية، وعندما يعاقبه فهذا من التربية، وقد تكون العقوبة رحمة بحق المعاقب، قال الشاعر:

أحياناً تحتاج التربية إلى قسوة وتكون القسوة عين الرحمة لذلك قال إبراهيم لأبيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَأْتِيكِ إِتِي أَحَافُ أَنْ يَمْسُكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45)

(سورة مريم)



المرضى رحمة للمؤمن

ما قال: من المنتقم بل قال من الرحمن؛ لأن الله تعالى أصل علاقته بعباده الرحمة، فلو مرض فالمرضى رحمة للمؤمن، ولو خسر بعض ماله فخرسان بعض ماله رحمة له، فأصل العلاقة هي الرحمة لذلك قال: (كَتَبَتْ رَبُّكُمْ) لأنه يربي عباده برحمته سواء جاءت الرحمة على ما يجب أو جاءت على شكل قسوة أليته إلى باب الله فكانت في حقيقتها رحمة، أو كقرت عنه ذنوبه فكانت بحقه رحمة، أو رفعت له درجته فكانت بحقه رحمة.

(كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ) أحد مظاهر رحمته -جلّ جلاله - أنه فتح باب التوبة لعباده، لو لم يكن رحيماً لما فتح لهم باب التوبة وعندها يقودهم أصغر ذنب إلى أكبر ذنب إلى نار جهنم، فلو أن الإنسان إذا أطلق بصره بالحرام لا يوجد توبة، أو كان المنهج الشرعي أن الإنسان يستطيع أن يخطئ عشر مرات في حياته كما يفعل مثلاً مدير الشركة مع موظفيه فيقول: عندك مجال لثلاثة أخطاء بعدها أفصلك من العمل، انتهى، لو ربنا-عزّ وجلّ- قال: "عندكم عشرة أخطاء"، كل الناس من أول عشرة أيام يستنفدون أخطاءهم وانتهى الأمر، دعه يتابع بالمعاصي والآثام، لذلك من أسوأ أنواع التربية أن تغلق أبواب العودة والصلاح في وجه من تربيته، إذا كان خطأ ابنك فحاصرته بشكل ليس عنده مجال لأن تغفر له ما مضى، فكأنك تعطي له رسالة بأن تابع في غيرك، وإذا كان المعلم ما عنده مجال ليصلح الطالب خطاه كان يقول له: إذا جئت المرة القادمة وحللت الواجب فأحويك ما سبق، إن لم يكن في منهج التربية ما يفتح صمام أمان فالعاصي أو الجاهل أو المخطئ يتمادى في معصيته، ربنا -جلّ جلاله - رحم عباده بأن فتح لهم باب التوبة، قال: (أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا) شيئاً بخلاف منهج الله تعالى، السوء ما خالف منهج الله، أطلق بصره في الحرام إلى أعلى درجة في ذلك كأن -نسأل الله السلامة- يزني، أكل مالا من حرام، شرب خمرًا، حتى الكبائر الصغائر والكبائر (أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ) يعني هذا السوء كان بجهالة منه، كل سوء عمله عاصي فهو بجهالة كما ورد عن السلف: لأن الإنسان لو لم يكن عنده جهالة لما صنع السوء، وأوضح جهالة هو أنه لم يتدبر عاقبة أمره، أعظم جهالة أنه عندما ارتكب الفاحشة أو السوء أو الإثم لم ينظر إلى عقاب الله تعالى له، فأى جهل أعظم من ذلك؟! هذه الجهالة، وقيل: الجهالة هي السفه والطيش، يعني ألا يتدبر عواقب الأمور، وقال بعضهم الجهالة هي ما يكون من الإنسان بغير تخطيط، هذا إشارة إلى أن التوبة عندما تكون من غير تخطيط فإن الله -عزّ وجلّ- أرحم بعبده من أن تكون بتخطيط مسبق، بمعنى أنه ذهب إلى بلد ما، اغترب وفي غربته عرضت له امرأة ففعل معها ما لا يجوز فعله ثم ندم واستغفر، هذا ليس كإنسان جلس في بيته واختار الفندق الذي يريد في غربته، ووضع خطة لما سوف يفعله من مواعيد في سفره ثم قصد في سفره المعصية، الأول قصد الدراسة لكنه فعل سوء بجهالة أي بغير قصد، والثاني خطط ونفذ، فليس الأول كالثاني، لكن عموماً كل سوء يُفعل فهو بجهالة، ومهما عظم ولو كان بتخطيط مسبق فإن الله يغفره، لكن التوبة من الذنب الذي يُفعل بغير قصد وتخطيط مسبق أسهل على العبد وأرجى للقبول عند الله من ذنب يُفعل بتخطيط مسبق ويعقد مسبق، بعقد للعزم مسبق فالأول أسهل من الثاني.

(أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن تَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) -جلّ جلاله- تاب وأصلح، التوبة ندم، والتوبة عزم، والتوبة إصلاح، الندم على ما كان، والعزم على عدم العودة في المستقبل، والإصلاح فيما ينبغي إصلاحه، يعني لو كان هناك حقوق للعباد فالإصلاح يقتضي أن ترد الحقوق إلى أصحابها، ولو لم يكن هناك حقوق للعباد فالإصلاح يقتضي أن تأتي بالحسنة التي تذهب السيئة.

{ ما مِن عَبْدٍ يُذِنُ ذَنْبًا فَيَتَوَصَّأُ فَيُحْسِنُ الوُضُوءَ ثُمَّ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا غَفَرَ لَهُ }

(أخرجه أبو داود عن علي بن أبي طالب)

فهذا إصلاح، التوبة هي ندم على ما كان، الإصلاح هو شيء تفعله تؤكد به صدق توبتك، ومن ذلك أن ترد الحقوق لأصحابها إن كان الذنب بينك وبين إنسان، قال: (فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) يغفر الذنب ويرحم عبده -جلّ جلاله-.

إيضاح طريق المجرمين:

قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ لَأَيُّهَا وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ (55)



الاجتهاد سيؤدي إلى النجاح

تفصيل الآيات: أي تبينها، وتفصيل بمعنى أن الآيات تأتي تبعاً بحيث يستوعبها الإنسان ولا تأتي متصلة، مفصلة، فأنت إذا أردت أن تعلم في درس ففصل: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، تفصيل، أما إذا ألفت المعلومات كلها كماً واحداً دون تفصيل فقد لا يستطيع السامعون أن يدركوا مرادك منها (وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ لَأَيُّهَا وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ) أي وتلصق طريق المجرمين، وقرأت (وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ)، قراءة (ولتستبين سبيل) سبيل: فاعل، أي لتضح طريق المجرمين، حتى تضح الطريق، وأما قراءة (ولتستبين سبيل) للمجرمين) أي ولتستبين يا محمد- صلى الله عليه وسلم- ولتستبينوا من بعده يا مؤمنين سبيل المجرمين، لتستبينوا أنتم السبيل، فكل قراءة تعطي معنى (وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ) وهناك قراءة (وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ)، قراءة حفص عن عاصم (وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ) أي لتضح سبيل المجرمين، فالفعل هنا لازم فعل فاعل، لتضح طريق المجرمين، وكيف تضح سبيل المؤمنين؟ إذا اتضحت سبيل المجرمين عرفت من خلالها سبيل المؤمنين، إذا قلت: لك هذا الإهمال سيؤدي إلى الرسوب إذا الاجتهاد سيؤدي إلى النجاح، فإما أن تبين طريق المجرمين.

فإذا وضحت لابتك أن هذا السبيل سيؤدي إلى الشيء السيء، فكأنك قلت له: إن السبيل المقابلة له ستؤدي إلى شيء جيد، إنك في مقتبل شبابه وبدأ كقيادة السيارة فجلست معه وبينت له النتائج الوخيمة للسرعة وإزعاج الناس بأصوات بوق السيارة و...الخ، وبينت له كل ذلك، وربما عرضت له فلماً يوضح خطر عدم وضع حزام الأمان أثناء السفر...الخ، الآن كل هذا كله تعريف بالنشر لكن هو عرف حكماً طريق الخير، هو ما يقابل ذلك، يعني إذا قلت لك: هكذا يفعل عدم وضع حزام الأمان إذاً وضع حزام الأمان هو أمان في السفر ينجيك من أن تقع في حادث فيصيبك مكروه وهكذا، (وَلَيْسَتَيْنِ سَبِيلٌ لِّلْمُجْرِمِينَ) فإذا عرف الإنسان سبيل المجرمين فقد عرف سبيل المؤمنين المحسنين، هذه طريقة في التربية إما أن تبين وهذه أحياناً تكون أدعى في التأثير.

بيان سبيل المجرمين من منظور تربوي:



التسلل من خلال الصورة إلى عقول الناس الباطنة

الإنسان بشكل طبيعي الوضع الصحيح لا يثير عنده من الداخل شيئاً، اليوم الدراما تعتمد على ماذا؟ المسرح الدراما على إيجاد مشكلة، لو أن دراما مؤلفة من ثلاثين حلقة كما يفعلون اليوم ويهيئونها لرمضان، لو أن الدراما هي عبارة عن بيت يعيش كما يعيش جميع الناس، الأولاد يلتزمون بآتون في الوقت المحدد، الزوج مع زوجته حياة طبيعية، ما أحد دخل و سرق البيت، ما صار مشكلة بين الزوجين، لم يتأخر الأولاد على البيت، ما أخذ أحد الناس الفاسقين ولداً وعلمه مخدرات بعد ثلاث أربع حلقات الناس يملون لا يتابعون المسلسل أبداً، هو يعتمد على وجود مشكلة، لكن المشكلة في الدراما أن أكثرها يعرض المشكلات على نحو يقبله المجتمع لا على نحو يرفضه فيستمرئ الناس الرذيلة؛ هنا المصيبة أنهم يتسللون من خلال الصورة إلى عقول الناس الباطنة، الناس العوام غير الواعين فيقتنعونهم بأن المجتمع الذي فيه شرب خمور عادي جداً الأمور تحصل، لكن هناك مشكلة إذا كان شرب الخمور أذهب العقل فقط فيقتنعونهم بجزء من شرب الخمور بأنه لا شيء فيه، التبرج يقنعونهم به بطريقة أخرى المتبرجة امرأة حضارية وضعها جيد ما عندها أي مشكلة مع زوجها، تستقبل أصدقاء زوجها في غيابه بكل حضارة ورفق وتقدم كما يزعمون، فالمشكلة أنهم يعرضون الرذيلة على نحو تقبله النفوس في كثير من الأحيان لا على نحو ترفضه النفوس، لكن القصد من هذا الكلام كثير من الأحيان ما يكون عرض الجانب سلبي يجذب الناس، فإن استطعت في التربية أحياناً أن تبين سبيل المجرمين لمن تربيته فهذا شيء جيد، لكن أن تبينه على النحو الذي يكرهه ابنك لا على النحو الذي يرفضه، كثير من الشباب الذين يدخلون في مقتبل العمر بسبب الصورة النمطية التي توضع لهم في الإعلانات على أن التدخين هو رجولة، هو حاجة عنده ثم يعتادها ويدمن عليها لكن في الأصل توضع له على أنها رجولة، وتعطيك شعور بالنكهة والمتعة والحياة وانطلق إلى الحياة، فيعطونه شعوراً بأن هذا سيجعله في وضع آخر غير الذي هو عليه، صورة مختلفة عن الواقع فيقتنعونه، النتيجة إذا أردت أن تبين سبيل المجرمين فينبأ هذا أسلوب تربوي مهم لكن على نحو يكرهه الإنسان لا على نحو يحبه وهي وسيلة تربوية (وَلَيْسَتَيْنِ سَبِيلٌ لِّلْمُجْرِمِينَ)، قل يا محمد-صلى الله عليه وسلم:-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِيْعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (56)

{ الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ كَمَا قَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثُمَّ قَرَأَ (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي

سَيَذَلُّونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (60) سورة غافر {

(أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه عن النعمان بن بشير)

إذا ربنا -جلَّ جلاله - سؤى بين الدعاء والعبادة فقال: (إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي تعبدونهم من دون الله أو تدعونهم بمعنى الدعاء الذي هو العبادة أي تدعونهم على وجه العبادة، أنا أدعو الآن إنساناً لكن لا أدعوه على وجه العبادة أطلب منه لكن لا أطلب منه على وجه العبادة، أما إذا أصبح دعاؤكم لهم على وجه عبادتكم إياهم فهذا منهي عنه، والذين يدعونهم من دون الله كثير بدءاً بالأصنام وانتهاء بأمرائهم ورؤسائهم، واليوم هناك من يدعو ويعبد من دون الله بطرق مختلفة، فيطلب من فلان من الناس على وجه العبادة لا على وجه السؤال.

(قُلْ لَا آتِيْعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ)، (قُلْ لَا آتِيْعُ أَهْوَاءَكُمْ) فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم، هما حالتان إما أن تستجيب لرسول الله و إما أن تكون متبعاً لهوى نفسك وليس هناك حل وسط بينهما، الإنسان إما أن يستجيب للحق أو أن يكون متبعاً للهوى، لا يوجد حالة ثانية أنه والله أنا لا أريد الحق لكن أنا لا أريد هوى نفسي، ما الذي تريده إذاً؟! الذي لا يريد الحق يريد هوى نفسه، الحق في أن تتزوج لا أن تزني، فإذا قال: أنا لا أريد الزواج إذاً هو يريد الفاحشة بطريقة أو بأخرى، لا يوجد حلول وسط بمعنى أن الإنسان يرفض الحق ويرفض هوى نفسه، فقال: (قُلْ لَا آتِيْعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ ۖ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنِ الْخُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَفْصَحُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِيلِينَ (57)

(قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي) على منهج واضح مصدره علوي سماوي ليس أرضياً، (وَكَذَّبْتُمْ بِهِ) وكذبتهم بتلك البينة وبهذا المنهج البين الواضح، (مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ) ما الذي كانوا يستعجلون به؟ العذاب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَوْ نُسْفِعْهَا لِسَمَاءٍ كَمَا رَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92)

(سورة الإسراء)

يريدون عذاب الله استهزاء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (16)

(سورة ص)



الإنسان بطبعه يحب العجلة

ألا تقول أن الله سبحانه؟ نريد الحساب الآن، قل: (مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ) أنا لا أملك ذلك الذي يملكه هو الله (إِنِ الْخُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) الحكم في العذاب والعقاب والتواب لله تعالى وحده، لماذا يستعجلون؟ الإنسان بطبعه يحب العجلة حتى أحياناً بالعذاب كما فعل هؤلاء، وإن كانوا قالوها استهزاء لكن الإنسان عموماً يريد الشيء العاجل، جرب الآن مع ابنك أن تقول له: إذا درست لك مفاجأة عندي، فوراً يقول لك أول شيء ما أن يمسك الكتاب ويدرس، فوراً يقول لك: ماهي المفاجأة؟ يا بني هي مفاجأة، اسمها مفاجأة، أرجوك لا تقل لولدك عندي مفاجأة إلا إذا كنت محتملاً للأخذ والرد لساعات طويلة قبل أن يحين موعد المفاجأة، مجرد أن تبشر إنساناً بشيء سيأتيه سيسألك متى؟ وكيف؟ وما هو؟ الإنسان خلق من عجل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (11)

(سورة الإسراء)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (37)

(سورة الأنبياء)

فهو يستعجل الأشياء قبل وقوعها، وعظمة إيماننا أنه يأمرك ألا تستعجل، كيف أن النفس تريد أن تطلق البصر والشرع يقول له: غض البصر، كيف أن النفس تريد أن تنام عند الفجر والشرع يقول له: استيقظ إلى الفجر، معارضة دائمة، أيضاً النفس تريد الشيء العاجل والشرع يقول لك: انتظر الآجل، فقط هي هذه المعادلة، فالإنسان يستعجل والله تعالى يأمره ألا يستعجل، قال تعالى: (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ) لا تستعجل، ستأتي الآيات لكن لا تستعجل، يريد أن يرى مصير الظالمين غداً، والله تعالى يقول لنبيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعُكَ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ (46)

(سورة يونس)

هو مهمتك أن تصبر، إذا صبرت جاءك الآجل، إذا استعجلت فأتك الآجل، قل: (مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ) إِنْ لَكُمْ إِلَّا اللَّهُ يَفْعَلُ الْحَقَّ) فإله تعالى لا يذكر ولا يقص علينا إلا الحق (وَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْفَصِيلِ) أي هو خير من يفصل بين حق وباطل، بين خير وشر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ لَوْ أَنِّي لَطَّلِمْتُ لَأَمُورٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنتُمْ لَطَّالِمِينَ (58)

أي من العذاب، لو أن الأمر بيدي أن أعذبكم الآن لقضي الأمر بيني وبينكم، كنت عذبتكم وأوقعت بكم العذاب الآن وانتهى الأمر بيني وبينكم إلى غير رجعة، لو أنني أملكه لفاعته، (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ)، لكن الله تعالى هو الأعلم -جل جلاله- بمن ظلم بإعراضه عن منهج ربه وظلم الآخرين بإعراضه عن منهج ربه، فهو أعلم بهم وأعلم بعقابهم ومنى يعاقبهم -جل جلاله-.

مَفَاتِحُ الْعُيُوبِ:

اللَّهُ

الغيب لله تعالى وحده

مفتاح جمع مَفْتَحٌ وهو الشيء الذي يُفْتَحُ، يعني عنده خزائن الغيب أو ما يُفْتَحُ به الخزائن كمفاتيح، مفتاح مفاتيح، الغيب لله تعالى وحده، ما مناسبة (وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)؟ هو استعجالهم بالعذاب، العذاب غيب، فإذا كنت مؤمناً فينبغي أن تصدق بالغيب، والثواب غيب، ومفاتيح الغيب عند الله وحده قال: (لَا تَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ) الغيب المطلق لا يعلمه إلا الله، الغيب النسبي قد يعلمه الإنسان، الغيب الإضافي قد يعلمه الإنسان، النسبي؛ أنت تقول: شرقت محفظتي لا أعلم أين هي، لكن السارق يعلم أين محفظتك، فهي غيب بالنسبة لك لكن السارق الآن يعلم أين وضعها، فهذا ليس غيباً مطلقاً، والغيب الإضافي هو ما يمكن أن تعلم به لاحقاً، أنا لا أعلم ما هو المرض الذي معي ولا من حولي يعلمون لكن هناك تحليل اليوم تنتظره 3 أيام، خزعة و ثلاثة أيام تخرج النتيجة، فهذا غيب إضافي له شيء يُضاف إليه فيعلم، لكن الغيب المطلق بمعنى أنه غدا الساعة الثانية عشر والرابع ما الذي سيحدث معي؟ والله لا أدري، وهل هناك من يدري؟ لا، وهل هناك معلومة أضفيها فأعلم؟ لا، أبداً، لا يوجد أي شيء أستطيع فعله، ممكن ألتزم بيتي ويصبر معي هذا الأمر داخل البيت، ممكن أخرج يصبر معي خارج البيت، لذلك التشاؤم والطيرة محرمة في الدين؛ لأنه هذا التفكير يؤدي إلى التشاؤم فالبعض يقول لك: أنا الأربعاء لا أخرج من بيتي، و البعض يقول لك: أنا هذا الطريق لا أمر منه، و خرج المعري يوماً وكان متشائماً فوجد ستاره مثل السنائر هذه قد رُبطت فأصبحت على شكل (لا) ومعها صحن تمر فقراها(لا تمر) فرجع إلى بيته، فالتشاؤم ليس له شيء إنه محاولة لفهم الغيب، التشاؤم هو محاولة لاستقراء الغيب غير منطقية وغير صحيحة لأنك لا تملك مفاتيحها؛ لذلك التشاؤم محرم، هو محاولة لاستقراء الغيب من غير أن تملك شيئاً من أدوات الغيب فقال: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ هَادٍ وَمَنْ يَُرِيدِ اللَّهُ أَجْرًا فَقَدْ أَجْرُهُ يَوْمَ يَخْرُجُ الْأُمَّةُ وَأَنْتَ الْعَاقِلُ
وَلَا يَأْسِي إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (59)

{ مفاتيح الغيب حَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ وَلَا مَا فِي عَدِّ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ }
(أخرجه ابن حبان والبخاري باختلاف يسير عن عبد الله بن عمر)

هذا غيب مطلق، وقد يُعرض عليه وقد بينت ذلك سابقاً أن يقول قائل: إن اليوم بالأرصاد الجوية نعلم، هذا بالأرصاد الجوية عندما اقتربت الغيوم لم يعد غيباً، أصبح غيباً عن بعض الناس الذين لم يشاهدوا الغيم، لكن الذين شاهدوه بالمناظير أصبح بالنسبة لهم شهادة أو غيباً إضافياً فهموه، فقالوا لك: الغيم اتجاهه هكذا، الرياح اتجاهها هكذا إذا الغيمة ستصل إلى هنا وسيكون المطر، طبعاً أيضاً يبقى احتمال غير مطلق دائماً ليس هناك اسمه مئة بالمئة ستنزل المطر، لكن هو أيضاً غيب، والذي يقول لك: بالشهر الرابع عرفنا الذكر من الأنثى طبعاً؛ لأنه لم يعد غيباً رآه بالإيكو فما عاد غيباً، رآه بعينه فعرفه طبعاً كان غيباً لعدم وجود المناظير، أما ما يكون في الأرحام هذا الغلام طوله وعرضه ولون عيونه واتجاهاته وميوله وتفكيره وشهادته وزواجه ومورثاته هذه لا يعلمها أحد إلا الله -عزَّ وجلَّ-، وما قال لك: فقط ذكر أو أنثى أصلاً، لكن حتى ذكر أو أنثى هو بعد 120 يوماً يُعلم بالمشاهدة وليس بالغيب، انتقل من عالم الغيب إلى عالم الشهادة لكن كان هناك ستار لا نستطيع خرقه، بأجهزة حديثة اخترقناه فرأيناه أنه ذكر فقط، مثل أجهدهم إذا قال لك: لا يعلم أحد ما يكون في الأرحام من ألف سنة، فقال لك: أنا لما ولدت زوجتي وشاهدته عرفته ذكراً، هي نفس الشيء لكن قبل أن تلده بالبطن عرفته أنه ذكر فقط، مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا الله.

وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ:

قال: (وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) بدأ بالبر لأنه الأقرب إلى مشاهدة الناس، لا يوجد إنسان إلا شاهد البر لكن وقت نزول القرآن وحتى اليوم هناك أناس لم يشاهدوا البحر مباشرة أما البر الكل شاهد، فبدأ مع أن البحر هو الأوسع في الكرة الأرضية مما في البر من نبات، من نبتة، من حيوانات، من إنسان، من مزروعات، من ثمار، من بقوليات، ما في البر والبحر، فقال في البحر مليون نوع من الأسماك والنباتات والمحار، و البحر المسجور الذي تحته النار وبيعان البحار وكل ذلك (وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) وحتى لا يتوهم متوهم أن العلم كلي مثل أجهدهم إذا قال لك: أنا هذا البناء أعرف تفاصيله تماماً، كنت فيه من اللحظة الأولى التي بني بها إلى اللحظة الأخيرة، فسئلي عما شئت به، فقال له أجهدهم: الآن بالطابق الرابع كم شخصاً في البيت الرقم ثلاثة، قال له: هكذا فهمت من كلامي، أنا سأعرف لك كم واحداً جالساً في البيت؟! الآن لا أعرف، أحكي لك بشكل عام لا على التفاصيل، أسألتني عن الدعامة، أسألتني كم بيتاً بيع، كم بيتاً لم يبع، أسألتني عن عموم البناء هذا الذي قصدته، فهنا (وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)، ربما قائل يقول: ربنا-عزَّ وجلَّ- عموماً يعرف أنه هناك مزروعات وهناك جمال وهناك كذا... لكن أعددتهم، فقال لك بعدها: (وَمَا تَشْفِقُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ مِنَ الصَّغِيرَةِ وَالْكَبِيرَةِ) علم تفصيلي، الآن مجاهرل إفريقية بغابات لم تطأها قدم إنسان هناك ورقة تساقطت، نزلت من الأعلى إلى الأسفل بفعل الجاذبية ورياح عصفت بها فنزلت في مكانها، الآن ربنا-عزَّ وجلَّ- علم بسقوطها في كل جزء من أجزاء الثانية؛ هذا علم الله تعالى قال: (وَمَا تَشْفِقُ مِنْ) من: لاستعراق أفراد النوع، من ورقة؛ تين ولا جوز ولا ما تريد ولا صنوبر (لَا تَعْلَمُهَا) -جلَّ جلاله-، فهذا أول شيء فيه باعث على تعظيم الله تعالى، أن هذا العلم لا يتأتى لبشر، وثانياً هناك باعث على الاطمئنان لوعد الله تعالى أنه إذا سقطت الورقة فهو يعلمها، فإذا سقط الصاروخ إلا يعلمها؟! وسقطت القنبلة الانشطارية إلا يعلمها؟! الورقة يعلمها-جلَّ جلاله-، إذا كله يعلمه فاطمن، وكله يعلمه فتواضع لعظمته واطمن لأنه يعلم، إذا أنت حدثت شيء وأجبت أن توصله لجهة عليا واتصلت به هاتفياً وقلت له: أنا يجب أن أخبرك بشيء، قال لك: أنا أعرف الذي تريد قوله، أليس من أجل ذلك؟ تاطمن، مادام يعرفه فهو يعرف كيف يتصرف، انتهى اصعب رأسي وأنام، فالإنسان يطمئن إذا صاحب القدرة علم، فرنا-جلَّ جلاله- يطمئنك ويقول لك: تواضع لعظمتي.

الإنسان يخضع للعلم:

(وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ يَوْمَ حَبَّوْبٍ الَّتِي بِيْزْرَعُوْنَهَا حَبُوْبٍ الْبِنْدُوْرَةِ أَوْ حَبُوْبٍ الَّتِي تَكُوْنُ هَكَذَا (وَلَا حَبَّةٌ فِي طُلْمُتٍ إِلَّا رِزْقٌ وَلَا رَطْبٌ وَلَا تَابِسٌ) هُنَاكَ شَيْءٌ رَطْبٌ الْفَوَاكِهِ، الثَّمَارِ، وَهُنَاكَ شَيْءٌ يَابَسٌ الْأَوْرَاقِ بِالْخَرْفِ، جَذُوْعِ الْأَشْجَارِ، كُلُّ شَيْءٍ فِي الْكُوْنِ إِمَّا أَنْ يَكُوْنَ رَطْبًا أَوْ يَابَسًا، قَالَ: (وَلَا رَطْبٌ وَلَا تَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِيْنٍ) مَكْتُوْبٌ عِنْدَ اللَّهِ بَكْتَابٍ وَاضِحٍ جَلِيٍّ، فَالآنَ تَفَاصِيْلُ حَيَاتِكَ، اخْتِلَاجَاتُ نَفْسِكَ، نِيَاتِكَ، مَا يَدُوْرُ فِي خَاطِرِكَ هَذَا كُلُّهُ فِي عِلْمِ اللَّهِ وَفِي كِتَابِ مَبِيْنٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذْ تَادَى رَبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3)

(سورة مريم)

فتناديه فيسمعك، فعلم الله-عز وجل-له مردودان على سلوكك؛ المردود الأول هو أن تتواضع لأن الإنسان يتواضع لمن هو أعلم منه دائماً، اجلس مع إنسان ثم يهمس في أذنك: أنعرف من هذا؟ هذا صاحب مايكروسوفت مخترع الجهاز الفلاني تتواضع بين يديه، هذا طبيعة الإنسان يخضع لمن هو فوقه، ويلقيس بها كيف جاء بها سليمان؟ أخضعها لأنها ملكة ثم وجدت نفسها أمام سليمان الملك لا شيء، رفعت عن ساقها طنت نفسها ستخوض في مخاضة ماء وفي الحقيقة هو صرح ممرد من قوارير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قِيلَ لَهَا ادْخُلِي - لَصَّحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَسَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرَخَ مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44)

(سورة النمل)

انتهى تحت جناحه، الإنسان يخضع للعلم، فرينا-جل جلاله- بهذا العلم ينبغي أن نخضع له، المردود الثاني: اطمنن كله بعلمه، إن مرضت فهو يعلم، وإن افتقرت فهو يعلم، وإن ظلمت فهو يعلم، فعلمه-جل جلاله- يجعلك في تواضع وفي اطمننان، والحمد لله رب العالمين.